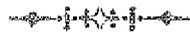


المشتغلون بالعلم وقد اتبعوا انفسهم وجعلوا الدين متمسراً على العامة فتركوه
وعلى الحكام فأخذوا بالقوانين والذنب عليهم في الجميع
(المفقد) : طال المجلس وستين لنا رأيك في الممايلات في المجلس
الآن ان شاء الله تعالى . وانصرفوا



﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

(الدرس ٢٩) الآيات البينات . على صدق الوحي والنبوات

(المسئلة ٦٣) الآية او المعجزة — عبر القرآن الكريم عما ايد الله
تعالى به الانبياء لاجل اذعان الناس لهم وقبولهم دعوتهم بالآيات واصطاح
التكلمون على تسميتها معجزات واختلفوا في وجه دلالة المعجزة على صدق
النبي الذي ظهرت على يديه هل هي عقلية او عادية او وضعية لانها بمعنى
قوله تعالى : صدق عبدي فيما يبلغ عنى . ولا يبحث في مثل هذه الخلافات
النظرية وانما نقول ان القصد منها الحمل على قبول الدعوة والاذعان للرسالة
عند استعداد الامة لذلك واقامة الحجة البالغة على المعاندين بحيث ينقطع
لسان الاعتذار من اهل الجحود والانكار

وقد كان ما جاء به كل نبي كافياً في هذا المقصد فاهتدى بهديهم
كثيرون من المستعدين ، وحقت الحكمة على الكافرين ، « قل فانه
الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين » فالآية او المعجزة امر يؤيد الله تعالى
به نبيه ويخضع له به النفوس وكان يختلف باختلاف الامم ومعارفها ودرجات
ارتقاؤها ومهما اختلفت الآيات وكثرت افرادها فانها ترجع الى نوعين آيات
كونية آفاقية وآيات علمية نفسية

م (٦٤) الآيات الكونية الآفاقية - اودع الله في فطرة الانسان الاعتقاد بقوة غيبية تلو جميع القوى وقدرة علوية تفوق جميع القدر و اودع في غريزته ميلاً لمعرفة الاشياء بعلمها واسبابها والوقوف على منشأها وآثارها فاذا رأى شيئاً لا يعرف له سبباً طبيعياً ، ولا منشأً كسبياً ، يحيله على تلك القوة الغيبية ، والساطة السابوية ، ويبعد المظهر الذي قام به ، ويخضع ويستغذى للرجل الذي برز على يده ، وذلك الاعتقاد كان أصلاً للوثنية ثم به جذب الانسان الى الايمان عند ما ارتقى الى درجة يميز فيها بين مظاهر الآيات والغرائب ومجاليها ، وبين موجدتها الحقيقي ومنشأها ، ارتقى في الوثنية من الخضوع والعبادة لأبسط المظاهر الطبيعية الى عبادة اعظمها وابدعها كالكوكب والانسان ثم ارتقى من الوثنية الى التوحيد عند ما استمد في ارتقائه الى فهمه كما قال تعالى « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » وهذا الارتقاء الذي غايته التوحيد هو الذي نطقت به الآية الشريفة « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (راجع المنارج ٨ م ٤)

لكن الذين يخضعون لمن تظهر على يديه امور خارقة للعوائد المألوفة ومخالفة لسنن المعروفة ، لمجرد الجهل بمنشأها ، وعدم نفوذ عقولهم الى حقيقتها ، يكونون دائماً عرضة للانخداع بشعوذة المشعوذين ، وحيل السحرة والدجالين ، ومستعدين للرجوع الى الوثنية ، وعبادة من ظهرت على يديه الخارقة الكونية ، الم ترالى بنى اسرائيل حين اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم كيف قالوا : يا موسى اجعل لنا الهام كما لهم آلهة . ثم كيف اتخذوا العجل بايديهم وعبدوه ثم الى النصرارى كيف عبدوا السيد المسيح عليه

السلام . ولكن لا مندوحة عن هذا لأن نظام الارتقاء الذي اقام الله فيه نوع الانسان يقتضيه فان الانسان في تلك الامم لم يكن مرتقياً الى فهم البراهين على مسائل الاعتقاد وفهم الحكمة من الشرائع والاحكام الادبية والعملية . والآيات الكونية التي اوتيتها موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ليست براهين على ما يجب اعتقاده من تزيه الله وتوحيده ومعنى النبوة وما يجب اعتقاده في النبي ولا على منقمة الآداب والاحكام التي جاء بها وموافقتها لمصلحة البشر وانما هي شيء تخضع له النفس وتستخذي امام صاحبه او تحمله على ما يشابهه مما يسمع ويرى من السحرة والمشعوذين . اما الذي يصلح برهاناً قاطعاً على صدق النبي بحيث لا يمكن لمن آمن بسببه ان يرجع عن الايمان فهو النوع الثاني وهو الآيات النفسية والعلمية التي منحها الله تعالى للانسان عند ما ارتقى ارتقاء يمكنه به فهمها

م (٦٥) الآيات النفسية العلمية - هي ما تبدل على صدق النبي دلالة حقيقية بالبرهان الذي يجزم العقل بأن صاحبها مؤيد من الله تعالى وموحى اليه ما يلته ودعا اليه لانها عبارة عن كون حال النبي وما جاء به يشهدان بانهما لا يمكن ان يكونا الا بامداد الهى ووحى سماوي لانها كحجة من يدعى الطب ويستدل على دعواه بمعالجة المرضى وشفائهم على يده وبالآيات بكتاب في الطب اذا عمل به الناس تذهب امراضهم وتحفظ صحتهم ولكن مدعى الطب اذا استدل على صدقة بانه يقرب العصا حية ويكشف حيلة مشعوذ يري الناس الجبال والمعصى حيات وثمانين وفعل ذلك لم يكن بين الدليل والمدلول اتصال يربط احدهما بالآخر . وانما خضع من خضع من الناس لسيدنا موسى بما ظهر على يديه من الآيات الكونية لما رسخ في

طباعهم من الخضوع لكل ذي مظهر غريب يفوق ادراكهم لا لانها
براهين اقيمت عقولهم بصدق الدعوى التي قام بها الا تراهم كيف حنوا الى
عبادة الاصنام وطلبوا من موسى ان يجعل لهم الهام مثلها على انهم لم يميزوا
بينها وبين السحر الا ان صاحبها غلب السحرة اللهم الا السحرة انفسهم
فانهم عرفوا الفرق بينها وبين ما جاؤا به من التمويهات الصناعية والشموذة
التخييلية ولذلك اختاروا القتل والصلب على الرجوع عن الايمان

م (٦٦) آية خاتم الانبياء والمرسلين - لما استمد النوع الانساني الى
معرفة الحق من الباطل بالبرهان والتمييز بين الخير والشر بالدليل والحجة
وكان لا بد له في هذا الطور من معلم ومرشد كما في الاطوار الاخرى
ارسل الله تعالى اليه رسولا يهديه الى طرق النظر والاستدلال ويأمره
بان يرفض التقاليد البحت والتسليم الاعمي وان لا يأخذ شيئا الا بدليل
وبرهان يوصل الى العلم القاطع فيما لا بد فيه من القطع والى الظن الغالب
فيما تقوم المصاحبة فيه بالاكتفاء بغلبة الظن . وكانت عمدة هذا الرسول
عليه الصلاة والسلام في الاستدلال على نبوته ورسالته نفسه وما جاء به
من النور والهدى كالطبيب الذي يستدل على اتقانه صناعة الطب بما يديه
من العلم والعمل الناجح فيها .

قال تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله » فتحدهم في الآية بالآيات بسورة هادية للناس كسور
القرآن من امي لم يترب ولم يتعلم شيئا مثل النبي الذي جاء به . وقال
تعالى : « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم »
استدل بالقرآن الناطق بالحكمة وبقيام من جاء به على صراط

الاستقامة على انه مرسل من ربه لبيان الحق وهداية الخلق . وقال جل ذكره « وقالوا لولا آياتنا باية من ربه اولم تأتئهم بينة ما في الصحف الأولى » احتج ههنا بنوع من انواع علوم القرآن وهو بيان سيرة المرسلين وما في صحفهم من النور والفرقان وهذا شيء لم يكن يعرفه هو ولا قومه من العرب كما قال سبحانه بعد ذكر قصة نوح « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » . وقال تعالى « وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بميمينك اذا لا رتاب المبطون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون . وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون »

سبق هذه الآيات الامر بالايان بما انزل على الانبياء السابقين و اشار بقوله (وكذلك) الى ان انزال الكتاب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو من جنس الانزال على من قبله وفي هذا حجة على اهل الكتاب . وبين انه لا يجحد بآيات الله التي نصبها على صدق الرسالة الا الذين صار الكفر صفة من صفاتهم الراسخة . وقفى هذا بينات آية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانها كتاب العلم والهدى من الأسمى الذي لم يقرأ ولم يكتب وكون الكتاب بين الصدق قاطع البرهان ناصع البيان بالنسبة لمن اوتى العلم

ورزق الفهم فصارعهم بين الحق والباطل ويزيل بين النافع والضار . وإذا كان كذلك فلا ريب أنه لا يجد به الا المتوكلون في ظلم النفس ، العريّةون في مكابرة العقل والحس ، ثم ذكر طاب هؤلاء الكافرين بالنم ، الخافرين للذمم ، آية كونية آفاقية كالأيات التي خوفت بها الأمم من قبلهم حتى انقادت واستسلمت ، أو أخذت واهلكت ، وأمر نبيه بأن يجيب هؤلاء الانبياء ، بأن الآيات عند الله لا في ايدي الانبياء ، وان حكمته تعالى في تربية الانسان ، اقتضت بأن يكون هذا الطور طور البيان ، وانه (صلى الله عليه وسلم) ليس الا نذيراً مبيناً ، وهدايا أميناً ، ثم نبههم تعالى على ان آيته - وهو النبي الامي - كتابٌ يشتمل على الرحمة التي تصلح بها قلوب العالمين والذكرى التي تزع النفوس عن الشر وتحملها على الخير بحيث يظهر أثرها الحسن في المؤمنين ، ويحق الشقاء على الجاحدين المعاندين ، ثم امره الله تعالى ان يكتبني بشهادة الله في كتابه بينه وبينهم حيث أقام الحجج البالغة على حقيقة ما جاء به وبطلان ما هم فيه وبين وهو عالم الغيب والشهادة ان العاقبة الصالحة للذين يتقون « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون » وكذلك كان ، والحمد لله على نعمة القرآن ، وسيأتي تفصيل كون الاسلام برهان على نفسه وصدق من جاء به في الكلام على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

م (٦٧) تعزيز الكلام . بقول احد الأئمة الاعلام - لما ترك المسلمون اخذ الدين بالبرهان ، كما يرشدهم اليه القرآن ، وتركوا النظر ، واطمأنوا لتقليد من غير ، صاروا يرتابون بكلام الاحياء ، اذا لم يستند لبعض الاموات من العلماء ، وما ذكرناه من التفرقة بين الآية الكونية ،

والآية النفسية المادية ، لا يوجد مثله في كتب العقائد المتداولة التي لم تنشر الا والعلم قد طوي بساطه ، والنهم قد انطمس صراطه ، وصار الحق يعرف بالرجال ، والرجال تعرف بالموت والزوال ، فرأينا ان نزره بكلمة من كلام بعض المتقدمين ، رحمة بالمقلدين المساكين ،

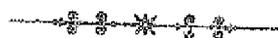
عقد حجة الاسلام الغزالي في كتاب القسطاس المستقيم فصلاً بين فيه الاستفتاء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء امته عن امام معصوم آخر ومعرفة صدقه بطريق اوضح من النظر في المعجزات واوثق منه وسماه « طريق العارفين » ومما جاء فيه ان مناظر الامام الغزالي وهو رجل من الباطنية القائلين بان الحق لا يعرف الا بوجود امام معصوم قال له بعد ما اوضح له الموازين التي جاء بها القرآن للتمييز بين الحق والباطل والخير والشر ما يأتي مع جوابه وهو :

« لقد ساعدتني على ان التعليم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت ان كل واحد لا يمكنه ان يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان الا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومجزتك فان امامي اما ان يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتعاقب من آياته اليه فاين نصك واين معجزتك ؟ فقلت : اما قولك « انك تدعي الامامة لنفسك خاصة » فليس كذلك فاني ارجو ان يشاركني في هذه المعرفة فيمكن ان يتعلم منه كما يتعلم مني فلا اجعل التعليم وقفاً على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم ان الامام قد نعى به الذي يتعلم من الله تعالى بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسى وقد نعى به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن

جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضي الله عنه إماماً فإنه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الإمامة لنفسى . أما برهاني عليه فأوضح من النص وعمما تعتقد معجزة فإن ثلاثة أنفس لو ادعوا عندك أنهم يحفظون القرآن فقلت : ما برهانكم ؟ فقال أحدهم : برهاني أنه نص علي الكسائي استاذ المقرئين إذ نص علي استاذي واستاذي نص علي . فكانت الكسائي نص علي . وقال الثاني : انى اقلب العصاحية وقلب العصاحية . وقال الثالث : برهاني انى اقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف . فليت شعري اى هذه البراهين اوضح عندك وقلبك بايها اشد تصديقاً ؟ فقال بالذى قرأ القرآن فهو غاية البراهين إذ لا يخالجنى فيه ريب اما نص استاذه عليه ونص الكسائي علي استاذه فيتصور ان تقع فيه اغاليط لاسيما عند طول الاسفار واما قلب العصاحية فلهله فهل ذلك بحجة وتلبس وان لم يكن تلبساً فنأيته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر علي فعل عجيب فينبى ان يكون حافظاً للقرآن ؟

قلت : برهاني إذن أيضاً انى كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وافهمت وازلت الشك عن قلبك فى صحته فيلزمك الايمان بامامتى كما انك اذا تعلمت الحساب من استاذ حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بان استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه أيضاً فى انه حاسب . وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا يشق القمر ولا يقلب العصاحية بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصاحية يكفر بخوار العجل . فان التعارض فى عالم الحس والشهادة

كثير جداً لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الإلهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب اهل الفجور وثواب اهل الطاعة كما ذكرته في كتاب (جواهر القرآن) فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . فكانت معرفتي بصدق النبي ضرورية كعرفتك اذا رأيت رجلاً عربياً يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتى بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تتماهى في انه فقيه وتبينك الحاصل به اوضح من اليقين بقلب ألف عصا ثعابين لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتليس والطمس وغيرها ، انتهى المراد منه وقد حكم الامام بعد ذلك بأن ايمان العوام والمتكاهن ضعيف لانهم لم يسلكوا هذه الطريقة



﴿ شبهات المسيحيين على الإسلام ﴾

« شبهات التاريخ على اليهودية والنصرانية »

كتبنا نبذة معنونة بهذا العنوان في الجزء الخامس ذكرنا في فاتحتها اننا طلاب مودة والتمام لا عوامل نزاع وخصام واننا لا نود ان يطعن أحد من المسلمين والنصارى في دين الآخر لان اظهار كل فريق محاسن دينه كافية في الدعوة اليه من غير حاجة الى الطعن فقد قام الاسلام بهذه الآداب ونما نمواً وانتشر انتشاراً سريعاً لم يعرف له نظير في التاريخ وذكرنا أيضاً ان اخواننا المسلمين اذا وافقونا على استعذاب هذا المشرب فان